



(اغتنام أيام العشر ولياليها)

- هدف الخطبة: شحذ الهمم للإقبال على الله في الأوقات عامة وفي هذه الأيام الفاضلات والليالي النيرات خاصة، ولا سيما وأن الإسلام يحتاج إلى رجال يحملونه ويتحملون أعباءه ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: 5] ﴿رِجَالًا لَا تُلْهِيمُهُمْ تِجَارَةً وَلَا تَبْتَغِ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَاقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ (37) لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: 37، 38] وإنما يُصنع هؤلاء في مدرسة رمضان وفي اعتكافات العشر الأخير منه، وفي خلوات المساجد وسجادات السحر، وفي مدارس الذكر والعلم والأخلاق.

- وقال الله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي حَبَاتِ النَّعِيمِ﴾ [الواقعة: 10-12]، قال الله تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الحديد: 21] ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ [آل عمران: 133] ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ [المائدة: 48] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: 9].

سابقوا، سارعوا، فاستبقوا، فاسعوا... آيات تدعوك إلى الجِدِّ والإقبال وعلوِّ الهمّة في الإقبال على الله تعالى.

- ورسول الله ﷺ كان أعلى الخلق همّة، وأقربهم منزلة، كان يدعو أصحابه، فيقول: «أَلَا مُشَمِّرٌ لِلْجَنَّةِ، فَإِنَّ الْجَنَّةَ لَا حَظَرَ لَهَا» (ابن ماجه)، أي: لا عوض لها ولا مثل. ويقول ﷺ: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سَبْعًا» (الترمذي). ويقول ﷺ: «اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ» (البيهقي). ويقول ﷺ: «صَلُّوا وَاجْتَهِدُوا» (أحمد). تشميرٌ ومبادرةٌ واغتنامٌ واجتهادٌ. وقالوا: من لم تكن له بدايةٌ محرقة، لم تكن له نهايةٌ مشرقة.

- أيها الإخوة: كان من مبادرة رسول الله ﷺ للخير في مثل هذه الأيام، واغتنامه لموسمها وتشميره للطاعة فيها ما أخرجه البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها: قالت: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ الْآخِرُ مِنْ رَمَضَانَ أَحْيَى اللَّيْلِ، وَأَيَّقُظُ أَهْلَهُ، وَجَدَّ، وَشَدَّ الْمُنَزَّرَ».

وفي رواية لمسلم قالت: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَجْتَهِدُ فِي رَمَضَانَ مَا لَا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ، وَفِي الْعَشْرِ الْآخِرِ مِنْهُ مَا لَا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ».

وأخرج النسائي عن النعمان بن بشير رضي الله عنه: قال: «قَمْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ لَيْلَةً ثَلَاثَ وَعَشْرِينَ إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ قَمْنَا مَعَهُ لَيْلَةَ خَمْسَ وَعَشْرِينَ إِلَى نِصْفِ اللَّيْلِ، ثُمَّ قَمْنَا مَعَهُ لَيْلَةَ سَبْعَ وَعَشْرِينَ، حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّ لَا نُدْرِكُ الْفَلَاحَ، وَكَانُوا يُسَمُّونَهُ السُّحُورَ».

فتعالوا - أيها الإخوة - نحافظ على فرائضنا جماعة في هذه الأيام، ونقوم من الليل استطاعتنا، ونشتغل بالقرآن والذكر والدعاء والصدقات والدعوة إلى الله، ونقضي حوائج الخلق تقرباً للخالق ما استطعنا لذلك سبيلاً.

- ختاماً، متى ليلة القدر؟ ذكر العلماء فيها أقوالاً: أشهرها أنها في العشر الأخير من رمضان، لحديث النبي ﷺ: «التمسوها في العشر الأخير» [البخاري] وقيل إنها تختص بأوتار العشر الأخير، لحديثه ﷺ: «التمسوها في العشر الأخير في وتر» [البخاري]. ومن قائل إنها ليلة ثلاث وعشرين. ففي سنن أبي داود عن عبد الله بن أنيس قال: قلت: يا رسول الله إن لي باديةً أكون فيها، وأصلي فيها بحمد الله، فمرني بليلة أنزلها إلى هذا المسجد فقال: «انزل ليلة ثلاث وعشرين» [الموطأ]. ومن قائل إنها ليلة السابع والعشرين، وفي مسند أحمد بإسنادٍ على شرط الشيخين عن ابن عمر رضي الله عنهما: قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كَانَ مَتَحْرِبَهَا فَلْيَتَحَرَّهَا لَيْلَةَ سَبْعَ وَعَشْرِينَ».

- قال بعض العلماء: أخفى الله هذه الليلة عن عباده كيلاً يتكلموا على فضلها ويقصروا في غيرها، فأراد منهم الجِد في العمل أبداً. فإنهم لذلك خلقوا ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56] فأروا الله من أنفسكم خيراً، فإنَّ السعيدَ مَنْ تَزَوَّدَ بالتقوى، والموفق من غنم مواسم عمره، والمرضي من كان من أهل ليلةٍ خيرٍ من ألف شهر، والمقرب من جعل ليلته كلها وأيامه قليلة القدر.

والحمد لله رب العالمين